باب التاريخ:

1 – طريق الحج الشامي وخرائب قوم لوط، دراسة في المصادر الجغرافية الإسلامية

The Levantine Hajj route and the ruins of the people of Lut: A study of the Islamic geographical sources

بقلم أ.د. وجدان فريق عناد

مركز إحياء التراث العلمي العربي – جامعة بغداد

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad

Revival of Arab Scientific Heritage Center

University of Baghdad

Wjdan.fareeq@gmail.com

الملخص

أنتجت الحضارة العربية الإسلامية مؤلفات في شتى الميادين العلمية ، ومنها الجغرافية فجاءت تلك المؤلفات لتبهر القارئ والدارس لها بضخامة المادة التاريخية الجغرافية وجمال عرضها ووصف معالمها، فضلاً عن منهجية عالية في تصنيف وتنظيم تلك المادة التي من خلالها يتطرق مؤلفها إلى أحداث سابقة لعصره، فكانت صورة تنطق بالإبداع والتطور الذي بلغته تلك الحضارة .

فتلك المصادر اعطت موقع مكة المكرمة مكانة مميزة في منهجيتها ، ولم تذكر ولو بالتلميح ان كعبة ابراهيم(ع) لها موقع غير مكة المكرمة . وهذا دليل على ان موقعها واحد لم يتغير، فهذه المصادر موصوفة بالمصداقية في مادتها التاريخية. وان استبعادها من قبل الفريق الذي يشكك بموقع كعبة ابراهيم ، بحجة انها متأخرة لا يفسر الا بالابتعاد عن المنهج العلمي .

Abstract

The Arab-Islamic civilization produced works in various scientific fields, including geography. These works came to dazzle the reader and student with the magnitude of the geographical historical material and the beauty of its presentation and description of its features, as well as a high methodology in classifying and organizing that material through which its author addresses events that preceded his time. It was a picture that speaks volumes. With the creativity and development achieved by that civilization.

These sources gave the site of Mecca a distinguished position in their methodology, and did not mention that the Kaaba of the Prophet Abraham had a location other than Mecca. This is evidence that their location is the same and has not changed, as these sources are described as reliable in their historical material. Its exclusion by the team that doubts the location of the Kaaba of Abraham can only be explained by moving away from the scientific method.

المقدمة

انتجت الحضارة العربية الإسلامية مؤلفات في شتى الميادين العلمية ، ومنها الجغرافية فجاءت تلك المؤلفات لتبهر القارئ والدارس لها بضخامة المادة التاريخية الجغرافية وجمال عرضها ووصف معالمها، فضلاً عن منهجية عالية في تصنيف وتنظيم تلك المادة التي من خلالها يتطرق مؤلفها إلى أحداث سابقة لعصره، فكانت صورة تنطق بالإبداع والتطور الذي بلغته تلك الحضارة .ـ

لذلك من غير الانصاف استبعاد تلك المصادر وتحييدها، عندما لا تكون مادتها متفقة مع رأي الباحث، ويصدق هذا القول على الخط البحثي المشكك بموقع كعبة إبراهيم،

وهذا النهج بعيد عن القواعد العلمية لمنهج البحث التاريخي .

لذلك قررنا الكتابة في موضوع **(طريق الحج الشامي وخرائب قوم لوط – دراسة في المصادر الجغرافية)** ومن الأسباب التي كانت وراء اختيار هذا العنوان أنه يقع ضمن دائرة اهتمامنا في متابعة طرق الحج التي هي طرق التجارة ذاتها، لذلك كان لنا اطلاع ومعرفة بالمصادر الجغرافية التي بينت منازل تلك الطرق ووصفت معالمها وحددت مسافاتها بدقة عالية وفقا لمنهجية تعكس الخبرة والدراية بتاريخ وجغرافية تلك الطرق.

أهمية الدراسة:– تتمثل أهمية الدراسة في كونها تتناول منازل الطريق الشامي إلى مكة المكرمة، والغرض الأساس هو البحث في بطون المصادر التاريخية والجغرافية عن وصف تلك المنازل من أجل إيجاد إجابة لسؤال هو التالي: هل توجد اشارة في تلك المصادر عن موقع آخر للكعبة المقدسة عند المسلمين غير موقعها الحالي مكة المكرمة ؟

مشكلة الدراسة :– ظهر في الوسط البحثي التاريخي خط يتبنى التشكيك بموقع مكة المكرمة، ويتخذ من سورة الصافات قال تعالى :– وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134)إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (136) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138) .

كأحد الادلة ، والتشكيك هو «لكي يشاهد اهل مكة هذه الخرائب في الصباح وفي المساء فلابد لمكة ان تكون قريبة منها جداً .

وسنحاول من خلال المصادر التاريخية تناول هذا الموضوع ؟

منهج البحث :– سيعتمد البحث منهج البحث التاريخي في استقصاء المادة العلمية من بطون المصادر التاريخية بالجمع والتحليل والاستنتاج .

فرضية الدراسة :– تقوم الدراسة على فرضية أن لا دليل معتبرا يسند الرأي البحثي الذي يجعل كعبة المسلمين في مكان غير المتعارف عليه على الرغم من اتخاذهم الآية القرآنية في سورة الصافات (133–138) كأحد الأدلة ؟

حدود الدراسة :– ستكون حدود الدراسة طريق الحج الشامي الذي يربط بين الشام ومكة المكرمة، وحدود الدراسة الزمانية تكون في المدة الزمنية التي تمتد من قبل الإسلام

وصولاً إلى الخلافة الأموية .

الدراسات السابقة :- هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت طريق الحج الشامي بالدراسة، ولكن معظمها اقتصر الجانب التاريخي والآثاري بشكل عام ولعل أبرزها وأهمها.

1 - درادكة، صالح موسى . طريق الحج الشامي في العهد الاموي، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام في العهد الاموي)، (عمان، 1996).

2 - موسل، أ. شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني (الاسكندرية، 1952).

3 - وهناك دراسات باللغة الانكليزية تناولت طريق الشام – مكة المكرمة ايضا ، ومنها :

To Mecca on Pilgrimage on Foot and Camel-back: The Jordanian Darb al-Hajj (Published online 22 Dec 2015):

https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1179/1752726015Z.00000000029

ولاحظنا فيها الارتباك في تتبع مراحل الطريق وتطوره وفقا للتطور الزمني، فقد أشارت الدراسة إلى أن الرحالة ابن بطوطة (ت 779هـ) هو أقدم من ذكر منازل ذلك الطريق في رحلته المعروفة باسمه (رحلة ابن بطوطة) ، وهذا الرأي بعيد عن الحقيقة التاريخية، لأننا اعتمدنا في دراستنا هذه على مصادر جغرافية أقدم من ابن بطوطة زمنياً.

هيكلية الدراسة: الدراسة مقسمة إلى:

مقدمة

- لمحة عن تاريخ الطريق وأهميته التاريخية
- منازل طريق الحج الشامي الذي يمتد من دمشق الى المدينة المنورة
- طريق المدينة المنورة – مكة المكرمة . وفيه تكملة لطريق الحج الشامي الذي في العادة يتجه نحو المدينة المنورة ومن ثم تكمل القافلة طريقها إلى مكة الكرمة عبر

منازل ذلك الطريق.

- نظرة على المصادر الجغرافية الاسلامية.
- خاتمة تتضمن أبرز نتائج الدراسة.
- ملحق وفيه منازل الطريق الحج الشامي في المصادر الجغرافية.

لمحة عن تاريخ الطريق وأهميته التاريخية

موضوع طرق الحج من الموضوعات المهمة في الدراسات التاريخية، كونها السبيل الذي يسلكه المسلمون لأداء فريضة الحج، وتتبين أهميته من عناية الخلفاء في مختلف الحقب التاريخية بطرق الحج ومنازلها.

إن هذه الدراسة تقتصر على طريق الحج من دمشق إلى مكة المكرمة وهو الطريق المعروف بطريق الحج الشامي، مشيرين إلى منازل الطريق ومحطاته الرئيسة.

وعند دراسة إمارة الحج في عصر الخلافة الأموية وجدنا أن الخليفة الأموي كان غالباً ما يعهد بالإمارة على الحج إلى أمير الحجاز، فيسلك طريق المدينة– مكة للقيام بمهام تلك الإمارة فيكون هو الطريق الرسمي لقافلة أمير الحج، بيد أنه في بعض السنوات شهدت إمارة الحج أن يكون الخليفة أو ولي العهد، أو أحد أفراد البيت الأموي أمراء لتلك المواسم ، ولما كانت حاضرة الخلافة الأموية دمشق، فمنها كان ينطلق أمير الموسم إلى مكة فيسلك منازل الطريق الشامي فيكون في تلك الاعوام هو الطريق الرسمي لأمير إمارة الحج .

ويعود تاريخ الطرق الموصلة بين الشام والحجاز إلى عصر ما قبل الإسلام، فالروابط بين المنطقتين لم تنقطع عبر الحقب التاريخية المتعاقبة بل ازدادت وتطورت بحكم الاتصال الجغرافي، إذ كان لهذه المنطقة دور بارز في المواصلات العالمية منذ أقدم العصور التاريخية، ولوجود المصالح المتبادلة بينهما المتمثلة بالقيام بدور الوسيط في التجارة العالمية.

كانت العلاقة بين الشام ومكة وثيقة منذ عصر ما قبل الإسلام، فقد ارتبط التجار القريشيون مع الشام بالإيلاف، وكان لهذه العلاقة أثرها بعد الإسلام، فالطريق إلى الشام

معروف مما سهل حركة الجيش العربي الإسلامي إليها من أجل التحرير. كما أن ظهور الإسلام أضاف للعلاقة بين مكة والشام رابطاً آخر، يمكننا أن نعدّه في مقدمة تلك الروابط، ألا وهو الحج، فالحجاز يضم أقدس مدينتين عند المسلمين، وهما مكة والمدينة، والحج إلى مكة أحد أركان الإسلام، وقد استوجب هذا العامل تطور المواصلات، ذلك أن الخلفاء المسلمين اعتنوا بطرق الحج، ابتداءً من حفر الآبار، وبناء القصور، ووضع العلامات.

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك ذكرا لأسماء بعض الطرق التي تربط بين مكة والشام، وهي الطريق المعتدلة، وطريق المعرفة (الساحل) ، فضلاً عن ذكر أسماء بعض المناطق الواقعة على الطرق التجارية بين مكة والشام .

وكانت عناية الخلفاء الأمويين بطريق الحج الشامي كبيرة، لأنه طريقهم إلى الحجاز وإلى القصور التي أكثروا من إنشائها في بادية الشام ، وعلى طوال ذلك الطريق.

طريق دمشق – مكة المكرمة: لقد ذكرت المصادر الجغرافية ذلك الطريق الذي يبدأ

من دمشق عاصمة الخلافة ومنها إلى موضع الصنمين[1]، وهي قرية عامرة بالسكان[2]، بعدها إلى أذرعات[3]، وتدعى درعا[4]، وهي بلد على أطراف الشام مجاورة لأرض البلقاء

1- الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم بن بشير (ت 285 هـ). المناسك وأماكن وطرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، (الرياض، 1969)، ص 653؛ مؤلف مجهول ، كتاب في تاريخ مكة والمدينة منازل مكة ، مخطوطة محفوظة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب – جامعة بغداد ، برقم (1587)،ورقة 114 ب؛ بينما سميت بعض المصادر الموضع الأول «منزل» ينظر: ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت 290 هـ). الأعلاق النفيسة، (ليدن، 1891) ، ص 183؛ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ). المسالك والممالك، مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت)، ص 150؛ أما بعض المصادر فقد ذكرت اسم الموضع الأول بعد مغادرة دمشق باسم «الكسوة»، ينظر: العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749 هـ). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (فرانكفورت، د.ت).،ص 334؛ الجزيري، عبد القادر محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت 977 هـ) . درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، المطبعة السلفية، (القاهرة، 1964).، ص 453؛ موسل، أ. شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني (الاسكندرية، 1952)، ص 156؛ وقد ذكر الأخير أن الكسوة هو اسم المنزل عند ابن رسته وابن خرداذبة. والكسوة قرية صغيرة على نهر الاعرج الذي يقسمها وتقع جنوب دمشق 18 كم وجاء اسمها من الكسوة التي أخذها بنو غسان من رسل ملك الروم الذين جاءوا لأخذ الجزية منهم . ينظر: الزمخشري، محمد بن عمر (ت 578 هـ) . الأمكنة والمياه والجبال ، تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون، (بغداد ، د.ت) ، ص 198؛ الدمشقي، محمد بن عيسى بن كنعان الصالحي (ت1153هـ). المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت إسماعيل، القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، 1993)، هامش ص 352؛ بكر، سيد عبد المجيد. الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، دار تهامة (جدة، 1981) ص 182؛ أما قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي (ت 337 هـ). الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1981).فقد ذكر أول اسم (المنازل) بعد دمشق. لمزيد من التفاصيل ينظر : الملحق رقم(1).

2- ذكرها الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت ، 1955). تحت اسم (الصنيان) وتبعد عن دمشق مرحلتان، وهي ضمن أعمال دمشق في أوائل حوران، واعتقد البعض أن الصنيين هي المنزل الثاني في طريق الحج الشامي بعد الكسوة، وإنها الموضع الذي أشار إليه ابن رسته وابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ العمري، مسالك الأبصار 2/334؛ الجزيري، درر الفوائد، ص 453؛ مالكي، سليمان عبد الغني. طريق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري، مجلة الدارة، السنة العاشرة، العدد الأول، يونيه- 1984، ص 9. لمزيد من التفاصيل ينظر: الملحق رقم (1).

3- الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، ورقة 114 ب؛ واعتقد موسل أن اذرعات التي يفصلها عن دمشق 150 كم جنوباً هي اسم المنزل الثالث الذي أشار إليه ابن رسته وابن خرداذبة باسم «ذات المنازل» وحسب ترتيب قدامة فإن ذات المنازل هي المنزل الثاني عنده ينظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 183؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85؛ موسل، شمال الحجاز، ص 156؛ وقد ذكر اليعقوبي أن جند الشام مقسم إلى كور والبثينة إحدى كوره ومدينتها أذرعات ينظر: البلدان، ص 83-82؛ أما المقدسي فقد قسم إقليم الشام إلى كور، أحدهما سماها الاردن وجعل أذرعات إحدى مدنه وحدد المسافة بين دمشق وأذرعات مرحلتين، ينظر: المقدسي البشاري، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 380 هـ). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2 (ليدن، 1906).، ص 154، 192؛ وقد ذكر درادكة، إن اسم ذات المنازل إشارة إلى أهمية موضعها بالنسبة للطريق، ينظر: درادكة، طريق الحج الشامي، ص 441؛ الملحق رقم (1).

4- درادكة، طريق الحج الشامي، ص 441؛ العارضي، وجدان فريق عناد. طرق أمراء الحج في الدولة العربية الإسلامية، دار النهضة العربية، بيوت، 2021، ص 30.

وعمان[1]، يتجه الطريق جنوباً ليصل إلى الزرقاء[2]، وهي قرية عامرة بالسكان تقع على وادي الزرقاء [3]، وبعدها سرغ[4]، وهي أول الحجاز وآخر الشام[5]، وفيها عدد من الآبار التي توفر الماء للحجاج[6].

بعد مغادرة سرغ يصل الطريق إلى تبوك [7]، وفيها بئر ماء، ومسجد النبي (صلى الله

1- الحموي، معجم البلدان، 1/130؛ وقد ذكرت بعض المصادر أن بينها وبين دمشق مسير أربعة أيام ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص 49؛ ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي (من رجال القرن الرابع الهجري) . المسالك والممالك ، (د.م، د.ت)، ص 171.

2- الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، 114 ب، وتبعد الزرقاء عن دمشق حوالي 203 كم جنوباً، وعن المدينة المنورة 110 كم شمالاً. ينظر: الدمشقي، المواكب الإسلامية، ق 2، هامش ص 353؛ بكر، الملامح الجغرافية، ص 186.

3- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487 هـ) . جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم، المطبعة العصرية، (الكويت،1977). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1945)، 2/696؛ الحموي، معجم البلدان، 3/137.

4- ذكرت بعض المصادر أن سرغ هي المنزل التالي لأذرعات (درعاً حالياً) ينظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 483؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85؛ موسل، شمال الحجاز، ص 156، وسرغ عند ياقوت تقع بين المغيثة وتبوك وهي من منازل الحج الشامي، ينظر: الحموي، معجم البلدان، 3/212، كذلك: الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمذاني الشافعي (ت 584 هـ). ما اتفق لفظه وافترق مسماه في الأماكن والبلدان المشتبه في الخط، مخطوطة محفوظة في مركز إحياء التراث العلمي العربي برقم 53 والمصورة عن نسخة مكتبة السليمانية مخطوطة لا له لي برقم 2140، ورقة 218، وحالياً سرغ هي مدينة المدورة الأردنية وتبعد عن أذرعات بما يزيد على 300 كم ومن الصعب أن تستمر القافلة بالسير دون توقف كل هذه المسافة؛ وقد ذكرت المصادر أسماء سبعة منازل من أذرعات إلى سرغ، ينظر: الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 114 ب؛ ويبدو أن هذه المنازل تتناسب مع المسافة، كما أن بعض تلك المنازل لا تزال محتفظة بآثار من عصر الخلافة الأموية، وربما يمكننا تحليل عدم ذكرها عند بعض المؤرخين من باب الخلاف بينهم حول مواصفات المنزل لكي يعد منزلاً من حيث اعتبارات الماء والعشب والسوق وإلى التغير في الطرق بفعل عوامل مختلفة، ينظر: درادكة، طريق الحج الشامي، ص 443-441. ينظر: الملحق رقم (1).

5- الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 218؛ الحموي، معجم البلدان، 3/212.

6- البكري، معجم ما استعجم، 3/735؛ وسرغ تبعد عن دمشق حوالي 572 كم، ينظر: بكر، الملامح الجغرافية، ص 193.

7- ابن سعد، الطبقات، 2/165-168؛ الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي (ت القرن الرابع الهجري). الأقاليم، (كوته، د.ت)، ص 10؛ البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت 322 هـ). صور الأقاليم، مخطوطة محفوظة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب- جامعة بغداد برقم 329، ورقة 20.

عليه وآله وسلم) [1]، وتبوك في منتصف المسافة بين دمشق ومكة[2]

بعد تبوك تدخل قافلة الحاج إلى منزل الجنينة[3]، ويقع ضمن ديار بني أسد[4]، ومنها إلى المحدثة[5]، وهي التي تغير أسمها فيما بعد إلى بركة المعظم [6]، وفيها جبل يسمى عمود المحدثة[7].

تستمر قافلة الحاج في طريقهم حتى يدخلوا الأقرع [8]، ولا يزال هذا الموضع محتفظ باسمه[9]، وهو جبل بين مكة والمدينة[10]، وبعدها تصل القافلة إلى إحدى القرى القديمة وهي الِحجر[11]، وهي قرية من منازل ثمود، تعتمد على الابار للحصول على الماء، وفيها مسجد وسوق، ولا يزال اسم الحِجر معروف ومأهول[12].

1- الاصطخري، بو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي (ت القرن الرابع الهجري) ،المسالك والممالك، (د.م ، د.ت) ، ص 24؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 39؛ المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم، ص 179؛ الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 76؛ الحميري، أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 900 هـ). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط 2، مطابع هيدلبرغ، (بيروت، 1984) ، ص 130؛ أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمد (ت 732 هـ) . تقويم البلدان، (باريس، 1840) ، ص 87؛ الدمشقي، المواكب الإسلامية، ق 2، هامش ص 354.

2- الاصطخري، المسالك والممالك، ص 24؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 39؛ الدمشقي، المواكب الإسلامية، ق 2، هامش ص 354.

3- عند الاطلاع على الملحق رقم (1) نجد أن الجنينة تأتي بعد المحدثة، والأقرع، ينظر: الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 114 ب؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 183؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85؛ إلا أن موسل استنتج من بحثه في المنطقة أن الجنينة قبل المحدثة والأقرع، ينظر: شمال الحجاز، ص 156.

4- البكري، معجم ما استعجم، 2/399.

5- الحربي، المناسك، ص 653؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 183؛ العارضي، طرق أمراء الحج، ص 32.

6- موسل، شمال الحجاز، ص156؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار 2/336؛ الجزيري، درر الفوائد، ص 458.

7- الزمخشري، الأمكنة والمياه ، ص 65؛ الحموي، معجم البلدان، 5/60.

8- الحربي، المناسك، ص 53؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 114 ب؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 183؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85.

9- ويبعد هذا الموضع عن تبوك حوالي 200 كم في الجنوب الشرقي من تبوك، ينظر: موسل، شمال الحجاز، ص 156.

10- الحموي، معجم البلدان 1/ 236.

11- الحربي، المناسك، ص 656؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85؛ الحازمي ما اتفق لفظه، ورقة 134.

12 - الحميري، الروض المعطار، ص 189؛ العمري، مسالك الابصار، 1/231 ؛ ينظر: الاصطخري، الأقاليم، ص 10؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص 39؛ الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال ، ص 72؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 89؛ شوكت، جزيرة العرب، ص 33؛ بكر، الملامح الجغرافية، ص 206-204.

وبعد مغادرتها تدخل القافلة إلى وادي القرى[1]، وهو واد بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، كثير القرى، وفيه منازل قضاعة ثم جهينة وعذرة وبلي[2].

من وادي القرى تدخل القافلة إلى السقيا[3]، والمقصود بها سقيا الجزل، والجزل واد كبير يقع ضمن بلاد عذرة، على مقربة من وادي القرى[4]. وبعد أن يتمتع الحاج بزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تكمل القافلة طريقها إلى مكة عبر طريق المدينة – مكة [5]، لقد اختلف الجغرافيون في تحديد المسافة بين دمشق والمدينة، ويعود ذلك لاختلاف وحدة القياس المستعملة عند كل منهم[6].

طريق المدينة – مكة المكرمة

كانت قافلة الحج الشامية تخرج من المدينة متبعة أثر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، سالكة طريق الشجرة إلى ذي الحليفة التي تبعد عن المدينة (5.5) ميل تقريباً [7].

ويستمر الطريق حتى تصل القافلة بعد مسافة (6) ميل إلى الحفير، وهو موضع يمتاز

1- الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 114 ب؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص 183؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ لغدة الأصفهاني، الحسن بن عبد الله (310 هـ). بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح أحمد العلي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (الرياض، 1968) ، ص 397؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 85.

2- الحموي، معجم البلدان، 4/338؛ الحميري، الروض المعطار، ص 602.

3- الحربي، المناسك، ص 653؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 114 ب.

4- لغدة الاصفهاني، بلاد العرب، ص 396؛ البكري، معجم ما استعجم، 3/743؛ الحموي معجم البلدان، 3/228.

5- عند الاطلاع على الملحق رقم (2)، نجد أن ابن رسته وابن خرداذبة قد أشارا إلى اسماء منازل أخرى بعد وادي القرى، ينظر: الأعلاق النفيسة، ص 183؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 150؛ بينما توقف الحربي عند السقيا، وربما يعود ذلك إلى اختلاف المؤرخين والجغرافيين في المواصفات التي يجب توفرها بالمكان حتى يعد منزلاً.

6- قدر البعض منهم المسافة بـ (20 مرحلة) ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص 29؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص 6؛ أما الإدريسي فقدرها بـ (30 مرحلة) ينظر: شوكت، جزيرة العرب، ص 30؛ أما العمري فالمسافة عنده 728 ميلاً، أو ما يعادل مائتان واثنان وأربعون فرسخاً، وثلث الفرسخ، ينظر: مسالك الابصار 2/299؛ أما مقدار المسافة بين دمشق والمدينة فقدرها العمري بـ 580 ميلاً أو ما يعادل ثلاث وتسعون فرسخاً وثلث الفرسخ، ينظر: مسالك الأبصار، 2/317.

7- الحربي، المناسك، ص427؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 42 أ؛ وقد اختلفت الأصول الجغرافية في تحديد مقدار المسافة بين المدينة وذي الحليفة، ينظر: البكري، معجم ما استعجم، 2/464؛ الحموي، معجم البلدان، 2/295؛ الحميري، الروض المعطار، ص196؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/293؛ بينما حددت دراسة حديثة المسافة بينهما بـ (9) كم ينظر: الكاندهلوي، حجة الوداع، ص 9.

بكثرة المياه[1]. وهناك عدة مواضع بهذا الاسم، إلا أن المقصود منها هنا الذي بين المدينة ومكة[2]، والحفير منازل بني فهر من قريش[3] . وبعد مغادرته بمسافة (6) ميل تصل القافلة إلى وادي ملل[4]. وبعدها بمسافة (7) ميل تصل إلى السيالة [5] وهي قرية جامعة[6]، وفيها سوق، ومنطقة زراعية مشهورة بالنخيل، ومصدر ماءها الآبار[7]، وبعد أن تترك القافلة السيالة تتجه إلى الروحاء بعد أن تقطع مسافة (11) ميل[8]. وهي منازل لمزينة[9]، ومنها إلى الرويثة بعد مسير (13) ميل[10]، وهي قرية جامعة[11]، تعتمد على منهل وبرك في حصولها على الماء، وفيها ماء يسمى الاحساء[12]، وتستمر القافلة لتصل إلى العرج بعد (14) ميل[13]، وهي منازل مزينة[14] .

1- الحربي، المناسك، ص 440؛ ينظر : مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 46 ب؛ الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 145.
2- البكري، معجم ما استعجم، 2/ 459-458؛ الحموي، معجم البلدان، 2/ 277.
3- اليعقوبي، البلدان، ص 73.
4- الحربي، المناسك، ص 441؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 46 ب.
5- الحربي، المناسك، ص 443؛ ينظر: مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 46 ب؛ البكري، معجم ما استعجم، 4/1256؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/ 166.
6- الحموي، معجم البلدان، 3/ 292؛ الحميري، الروض المعطار، ص 333.
7- ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 130؛ الحميري، الروض المعطار، ص 333؛ شوكت، جزيرة العرب ، ص 23.
8- الحربي، المناسك، ص 443؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/166؛ وقد اختلف المؤرخون فيما بينهم في تحديد المسافة بين الروحاء والمدينة، ينظر: الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال ، ص 114؛ الحميري، الروض المعطار، ص22، السمهودي، وفاء الوفا، 2/314. وقد بينت دراسة حديثة ان المنطقة لا تزال تحمل الاسم نفسه، ولكنها لم تعد بمنزل للحاج وتبعد عن المدينة 74كم، ينظر: الكاندهلوي، محمد زكريا ،حجة الوداع وعمرات النبي صلى الله عليه وسلم ، مطبعة ندوة العلماء ، (الهند، د.ت)، ص 30.
9- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 292 هـ). البلدان، ط3، المطبعة الحيدرية (النجف، 1957)، ص 73؛ البكري، معجم ما استعجم، 2/ 681.
10- الحربي، المناسك، ص 445؛ ينظر : مؤلف مجهول، منازل مكة ورقة 48 أ، البكري، معجم ما استعجم، 2/ 686.
11- البكري، معجم ما استعجم، 2/686؛ الحميري، الروض المعطار، ص 277.
12- مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 48 أ ؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ ابن خرداذبة، المسالك والمملك، ص 130؛ الحميري، الروض المعطار، ص 277؛ السمهوري، وفاء الوفا، 2/ 169؛ شوكت، جزيرة العرب، ص 23.
13- الحربي، المناسك، ص 447؛ ينظر : البكري، معجم ما استعجم، 3/ 903؛ الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 275.
14- مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 48 ب؛ اليعقوبي، البلدان، ص 77.

بعد العرج بمسافة (17) ميل تدخل القافلة إلى السقيا[1]، وهي قرية عظيمة، قريبة من البحر الذي يبعد عنها مسيرة يوم وليلة[2]، فضلاً عن إنها منطقة زراعية كثيرة النخل والماء، فيها عدد كبير من الآبار والعيون التي تزرع حولها الخضر[3]، وفيها نهر جار أيضاً[4]، وهي منازل بني كنانة[5]، وقيل سميت السقايا لما سقوا من الماء العذب[6].

تستمر القافلة في طريقها لتصل بعد (17) ميل إلى الأبواء [7]، وسكانها خليط من العرب[8]، وبعد مغادرتها تاتي الجحفة بعد مسافة (23) ميل[9]، «وإنما سميت جحفة لأن السيول قد جحفتها»[10]، وهي قرية جامعة على مقربة من البحر، وتعتمد الآبار في التزود بالماء[11]، وأشهر المواضع القريبة منه غدير خم[12]، وهي منازل قوم من بني سليم[13].

بعد الجحفة بمسافة (24) ميلاً تكون القافلة قد وصلت إلى قديد[14]، وهي قرية عامرة بسكانها، فيها عدد من الآبار والعيون، وتعد منطقة خصبة كثيرة البساتين وفيها منازل لخزاعة[15]، وسميت قديد «لتقدد السيول بها»[16]، وبعد مغادرتها تسير القافلة (23) ميلًا

1- الحربي، المناسك، ص448؛ ينظر : مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 49 آ؛ معجم ما استعجم، 3/742، 931؛ الحميري، الروض المعطار، ص 327.
2- الحموي، معجم البلدان، 3/ 228؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/323.
3- الحربي، المناسك، ص 451- 452؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 49 ب؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ الحموي، معجم البلدان، 3/228؛ الحميري، الروض المعطار، ص 327.
4- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 130؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 80، شوكت، جزيرة العرب، ص 23.
5- اليعقوبي، البلدان، ص 73.
6- الحربي، المناسك، ص 450.
7- الحربي، المناسك، ص 451؛ ينظر: مؤلف مجهول، منازل مكة ورقة 49 ب.
8- البكري، معجم ما استعجم، 1/102.
9- الحربي، المناسك، ص 454؛ ينظر: أبي داود، سنن أبي داود، 2/147؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/172.
10- الحربي، المناسك، ص 457؛ ينظر : البكري، معجم ما استعجم، 2/ 368؛ الحميري، الروض المعطار، ص 156.
11- الحربي، المناسك، ص 457؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 131؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 81؛ شوكت، جزيرة العرب، ص 23.
12- البكري، معجم ما استعجم، 2/368؛ الحميري، الروض المعطار، ص 156؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/367؛ العلي، الحجاز في صدر الإسلام، ص 263.
13- اليعقوبي، البلدان، ص 73.
14- الحربي، المناسك، ص 457؛ ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص 454.
15- الحربي، المناسك، ص 457، 460؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 178؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 81؛ البكري، معجم ما استعجم، 3/1054.
16- الحربي، المناسك، ص 459.

لتصل إلى عسفان [1]، وهي منازل بني المصطلق من بني خزاعة[2] .

تصل القافلة بعد (23) ميلاً إلى آخر منازل طريق المدينة مكة، بطن مر، وهي قرية عامرة بالسكان، فيها عدد من العيون والآبار تكفي مياهها لممارسة سكانها الزراعة، ويكثر فيها النخيل[3]، وتسمى أيضاً مر الظهران فمر هي القرية، والظهران اسم الوادي[4]، وسميت مر لمرارة مياهها، وقيل «إنما سميت مر لأن في جبل في بطن الوادي، بين مر ونخلة، كتاباً بعرق أبيض: مر، إلا أن الراء غير موصولة بالميم» [5] ، ومن بطن مر تستعد القافلة الشامية لدخول مكة بعد (13) ميل [6].

أطلق المؤرخون والجغرافيون على هذا الطريق اسم طريق الجادة[7]، أما ابن خرداذبة فسماه طريق الجاد[8]. وقدرت المسافة بين المدينة ومكة بـ (200) ميل تقريباً [9].

1- الحربي، المناسك، ص 459؛ الحميري، الروض المعطار، ص 421.

2- الحربي، المناسك، ص 463؛ مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 52 ب؛ البكري، معجم ما استعجم، 3/942 ؛ أما الإدريسي فيجعلها منازل قوم من بني جهينة، ينظر: شوكت، جزيرة العرب، ص 23.

3- الحربي، المناسك، ص 465؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 178؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 131؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 81؛ الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 354؛ شوكت، جزيرة العرب، ص 23.

4- لغدة الأصفهاني، بلاد العرب، هامش ص 24؛ الحازمي، ما اتفق لفظه، ورقة 354 ؛ الحموي، معجم البلدان، 5/ 104؛ ابن حجر، فتح الباري، 1/750؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2/174.

5- الحربي، المناسك، ص 465؛ ينظر: مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 53 آ؛ البكري، معجم ما استعجم، 4/1212، 1257.

6- الحربي، المناسك، ص 465؛ ينظر: مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 53 آ؛ البكري، معجم ما استعجم، 4/ 1212؛ الحموي، معجم البلدان، 5/ 104؛ الحميري، الروض المعطار، ص 93، وتبعد عن مكة مسافة (25) كم، ينظر: الكاندهلوي، حجة الوداع، ص 40.

7- مؤلف مجهول، منازل مكة، ورقة 16آ – 16 ب؛ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي ، صورة الارض، ص 46؛ شوكت العرب، ص 23.

8- المسالك والممالك، ص 130.

9- الحربي، المناسك، ص 468؛ وقد اختلف الجغرافيون في تحديد المسافة بين المدينة ومكة، لاختلاف وحدة القياس المستعملة عندهم، فالبعض قدرها (10مراحل)، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص 73؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص 46؛ الاصطخري، . المسالك والممالك، ، ص 28 ؛ أما الإدريسي فمقدار المسافة عنده (250) ميلاً ينظر: شوكت، جزيرة العرب، ص 24؛ بينما قدر ابن فضل الله العمري المسافة «ماية ميل واثنا عشر ميلاً، وهي سبعة وثلاثون فرسخاً وثلث فرسخ» ينظر: العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749 هـ). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،ج 2، (فرانكفورت، د.ت)،ص 299 ؛ الجزيري،. درر الفوائد ، ص442؛ مع العلم أن المرحلة تساوي ثمانية فراسخ والفرسخ يساوي 6 كم، والميل يساوي 2 كم.
ينظر: اليعقوبي، البلدان، هامش ص 75؛ ابن الرافعة، أبو العباس نجم الدين الأنصاري (ت 710 هـ). الإيضاح والتبين في معرفة المكيال والميزان، تحقيق محمد أحمد إسماعيل الخاروف، دار الفكر (دمشق، 1980) ، ص 77- 78؛ هنتس، فالتر. المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية (د.م، د.ت)، ص 94- 95.

- **نظرة على المصادر الجغرافية العربية الاسلامية**

لفد تتبعت الدراسة المادة التاريخية من مصادرها الأساس من كتب التاريخ العام والمصادر الجغرافية التي وصفت مراحل الطريق وأعطت وصف عن منازله، ومنها كتاب المناسك للحربي (285هـ/ 898م)، وبعده تأتي مخطوطة منازل مكة لمؤلف مجهول، فضلاً عن بقية المصادر المشار إليها في هوامش المقال والتي أفادتني في الحصول على معلومات مهمة عن منازل الطريق والتغيرات التي طرأت عليها، وأهم هذه المصادر: الأعلاق النفيسة لابن رسته (290هـ/ 902م)، والمسالك والممالك لابن خرداذبه (300هـ/ 912م)، ومعجم ما استعجم للبكري (487هـ/ 1075م)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (626هـ/ 1225م).

ولم نجد إشارة ولو بالتلميح إلى موقع آخر لمكة المكرمة. فكل المصادر التاريخية تجمع على موقعها الحالي وتعطي وصفا واضحا لمعالمها التي لا تزال موجودة في أماكنها ذاتها محتفظة أكثرها بأسمائها التاريخية ، كما أن ذلك الوصف ينطبق تماماً على بيئة وجغرافية المكان، فلا يوجد ما كان يمنع المؤرخين والمفسرين من الإشارة إن كان هناك موقع آخر لكعبة مكة ، ولا سيما أنهم أشاروا إلى وجود كعبات أخرى في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وأكدوا أن لكعبة مكة المكرمة التي حددوا موقعها بوضوح ودون أي التباس القدسية والمكانة العلية ، كما أنهم أشاروا إلى حج القبائل العربية قبل الإسلام إلى كعبة مكة المكرمة.

وتأتي كتب التاريخ العام وكتب تواريخ المدن والتفاسير القرآنية لتؤكيد أن موقعها التاريخي هو ذاته المعروف حالياً، وعند الرجوع إلى التفاسير القرآنية للآيات (133– 138) في سورة الصافات [1]، نجد أنها أجمعت على أنها جاءت بمعنى التذكير بعاقبة المكذبين برسالة الأنبياء، وهي تخاطب كل من يسلك هذا الطريق أياً كنت غايته من ذلك السفر وهي خطاب عام لكل العرب، فليس المقصود منه أهل قريش حصراً، ويبدو لنا من الليل والنهار هو تقدير لوقت وصول القافلة إلى تلك الخرائب، كما أن طريق

1 – الطبري ،جامع البيان عن تاويل آي القرآن ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، د. ت ، ج21،ص 105؛ القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق احمد البردوني وابراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1964، ج 15، ص120؛ سيد قطب ، في ظلال القرآن، ط6 ، دار الشروق، بيروت ، 1978، المجلد 5، ص2998.

الشام يعد طريقاً مسلوكاً دائما بقوافل العرب، ومعنى الليل والنهار الاستمرارية في المرور المتكرر لتلك القوافل على تلك الخرائب ، وهذا الأسلوب في التعبير المجازي لا يزال دارجا في كلام العرب، لأن القرآن الكريم عرض مادة الزمن بأسلوب بلاغي راق، فلا يمكن إدراك معانيها إلا بهذا الأسلوب [1].

لذلك تنصح تلك الآيات العرب عامة ومنهم كفار قريش بأنه من الأجدر أن تتعظوا وانتم ترون ما حل بالمكذبين برسالة الأنبياء قبلكم، وهذا مصير كل من ينحى منحاهم، وتنتهي الآية 138 بكلمة (أفلا تعقلون) وهي دعوة لاستعمال العقل الذي لابد أن يستمع لما تنطق به تلك الخرائب من قدرة الله .

كما أن الروايات التاريخية وفي حديثها عن مكة المكرمة قبل الإسلام أشارت إلى حوادث تاريخية حدثت في موقع مكة المعروف للجميع ولعل من أبرزها بئر زمزم التي لا تزال مياها تتدفق، والروايات تجمع على موقعه الحالي.

وبالتالي فإننا تتبعنا بهذه الدراسة طريق الشام في بطون المصادر الجغرافية والتاريخية المتوفرة لدينا ولم نعثر على دليل يمكن أن يقدم ليثبت صحة الخط البحثي المشكك بوجود الكعبة في مكة المكرمة في موقعها المعروف.

ويبدو لنا أن سبب التشكيك جاء من القصور في الاطلاع والإحاطة بالروايات التاريخية المعتمدة ، وتحميل النص التاريخي بما لا يحتمل من الاستنتاج .

لذلك لا نجد مبرراً لدى من يتبنى الخط البحثي المشكك بموقع مكة الحالي في إهمال المصادر الجغرافية الإسلامية التي لم يرد فيها ما يثبت تشكيكهم إلا بالابتعاد عن منهج البحث التاريخي العلمي الذي يوجب على الباحث أن يتجرد من انتمائه وأفكاره السابقة ، كما يتوجب عدم إهمال تلك المصادر الموصوفة من قبل الباحثين في الدراسات التاريخية والجغرافية، ومن غير المسلمين تحديداً لأنها على درجة عالية من

1 – محمد بن موسى بابا عمي، مفهوم الزمن في القرآن الكريم ، دار وحي القلم ، دمشق ، 2008،ص 65

الدقة والمصداقية ومنهم كراتشوفيسكي[1] والمستشرق الفرنسي رينو[2].

فتلك المؤلفات الجغرافية والرحلات تحتل مكان الصدارة من بين مصادر دراسة تاريخ أي منطقة أو إقليم، فلا بد من العودة الى تلك المؤلفات التي تعد كنز بما حوت من معلومات أصيلة وشاملة فلا يمكن نكران الإصالة في معلومات الحربي، اليعقوبي، البكري، ابن حوقل، وابو الفداء على سبيل المثال لا الحصر .

فهي وفرت فضلاً عن المعلومات الجغرافية معلومات أخرى عن التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعقائدية ، فكانت معينا للباحثين في رسم وصف عام عن تلك المناطق.

فهذه المؤلفات من أدوات المؤرخ التي لا غنى عنها لأنها تمد الباحث بقدرة على التفكير المكاني المتطور للوصول للمعرفة التاريخية وانتزاع المعلومات من بين الروايات التاريخية فهي مكنتنا من وضع خرائط وإن كانت بسيطة عن الطرق والمسالك فيما يعرف الآن بمصطلح تنقيب البيانات (dada mining) فالمعلومات الجغرافية في هذا المؤلفات لا تقدر بثمن.

باختصار يمكن القول إن تلك المؤلفات كانت تتبع الظاهرة التاريخية من ناحية جغرافية، فهي وإن كانت متأخرة قدمت معلومات جغرافية تاريخية سابقة لزمن تأليفها عن المناطق، وأثبتت الدراسات الحديثة أنها كانت على درجة كبيرة من الثقة في ذلك، فتلك المصادر تذكر أولاً الموقع الجغرافي وتحديده وأهميته للإقليم وبعض المعلومات

---

1 – نظر كراتشوفيسكي الى مؤلفات علماء الحضارة الاسلامية نظرة احترام وتقدر ويخص بالذكر المصادر الجغرافية فيقول :– « ولعل هذا يصدق قبل كل شيء على الأدب التاريخي والجغرافي العربي الذي اعترف العلماء به منذ عهد بعيد بأنه المصدر الأساسي والموثوق به في دراسة ماضي العالم الإسلامي. إذ تتوفر فيه مادة لا ينضب معينها لا للمؤرخ والجغرافي فحسب. بل أيضا لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والعلم والدين وللغويين وعلماء الطبيعة ولا يقتصر محيط الأدب الجغرافي العربي على البلاد العربية وحدها بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الأولى عن جميع البلاد التي بلغها العرب أو التي تجمعت لديهم معلومات عنها. وذلك بنفس الصورة المتنوعة التي وصفوا بها بلاد الإسلام.. وقد يحدث أحيانا أن تمثل المادة الجغرافية العربية أما المصدر الوحيد أو الأهم لتاريخ حقبة معينة لقطر ما.». ينظر : كراتشوفيسكي ، اغناطيوس يوليا نوقش ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1963، القسم الاول ، ص 3

2 – لقد وصف المستشرق الفرنسي رينو كتاب ابي الفدا تقويم البلدان فقال : « ان العصور الوسطى الاوربية لم تعرف كتابا يمكن مقارنته به « . ينظر : كراتشوفيسكي ، المرجع السابق، 1/389؛ محمد محمود محمدين ، التراث الجغرافي الاسلامي ، دار العلوم ، الرياض ، 1999، ص193.

المناخية والطوبوغرافية عنه ثم تذكر ما حدث فيه من أحداث سابقة لعصر المؤلف أو معاصره له، وتذكر ايضاً أهم الشخصيات التي اشتهرت في كل بلد .

فإن كان هناك أي شك بموقع مكة المكرمة الحالي لكانت أشارت بوضوح إلى ذلك، أو لمحت بطريقة وأخرى إلى وجوده، ولأنها لم تشر إلى ذلك فهذا دليل على خطأ الاتجاه البحثي المشكك في موقعها ، والذي يبدو أن وراءه أهداف أخرى غير البحث العلمي الرصين.

ولابد من الإشارة إلى الدكتورة آمال الروبي التي ردت على المستشرقة بتريشيا كرون والتي فندت كل الأدلة التي ذكرتها المستشرقة للتشكيك بموقع مكة [1]. كما ان نولدكه في تعليق له على رواية مؤلف حولية خوزستان السريانية التي اكتشف مخطوطها المستشرق الإيطالي إغناطيوس غويدي وترجمه إلى اللاتينية، وترجمه نولدكه إلى الألماني. وتلك الحولية هي تاريخ سرياني كتبه أحد النصارى الشرقيين في القرن السابع الميلادي جاء فيه ذكر لقبة ابراهيم وفي تعليقه يرى أن رواية مؤلف الحولية مؤيدة لقصة ابراهيم الإسلامية وأن القبة المذكورة هي الكعبة في مكة [2] .

الخاتمة

توصل البحث المعنون (طريق الحج الشامي وخرائب قوم لوط – دراسة في المصادر الجغرافية الإسلامية) الى عدد من النتائج من ابرزها ما يلي:

إن المصادر الجغرافية العربية الاسلامية اعطت موقع مكة المكرمة مكانة مميزة في منهجيتها ، ولم تذكر ولو بالتلميح الى ان كعبة ابراهيم (ع) لها موقع غير مكة المكرمة . وهذا دليل على ان موقعها واحد لم يتغير، فهذه المصادر موصوفة بالمصداقية في مادتها التاريخية. وان استبعادها من قبل الفريق الذي يشكك بموقع كعبة ابراهيم ، بحجة انها متأخرة. لا يفسر الا بالابتعاد عن المنهج العلمي . الذي يلزم الباحث ان لا يهمل المصادر التي لا تؤيد رأيه .

فليس من الامانة العلمية الكيل بمكيالين في التعامل مع تلك المصادر التي يعتمدون

1 – امال محمد الروابي ، الرد على تجارة مكة وظهور الاسلام ، ط2 ، القاهرة ، 2013 ، ص 30–26

2 – رابط النسخة الألمانية:
https://menadoc.bibliothek.uni-halle.de/.../pageview/865296

عليها في دراساتهم الاخرى كون سمة المصداقة والدقة متوفرة فيها في حين اهملت وشككت بمصداقيتها حين لم يجدوا فيها ضالتهم.

ملحق رقم «1» طريق دمشق– المدينة [1]

الحربي (ت 285هـ)	ابن رسته (ت 290هـ)	اليعقوبي (ت 292هـ)	ابن خرداذبة (ت 300هـ)	قدامة بن جعفر (ت 337هـ)	المقدسي البشاري (ت 380هـ)	الإدريسي (ت 560هـ)
دمشق	دمشق	دمشق	دمشق	دمشق	تيماء	لم يشر الى هذا الطريق
الصنمين	منزل	ايله	منزل	المنازل	الحجر	
اذرعات	منزل	مدين	منزل	ذات المنازل	وادي القرى	
الزرقاء	ذات المنازل		ذات المنازل	سرغ	السقيا	
القسطل	سرغ		سرغ	تبوك		
قبال	تبوك		تبوك	المحدثة		
بالعه	المحدثة		المحدثة	الأقرع		
الحفير	الأقرع		الأقرع	الجنينة		
معان	الجنينة		الجنينة	الحجر		
ذات المثار	الحجر		الحجر	وادي القرى		
المغيثة	وادي القرى		وادي القرى	المدينة		
سرغ	الرحبة		الرحبة			
تبوك	ذي المروة					
المحدثة	المر		المر			
الأقرع	السويداء		السويداء			
الجنينة	ذي خشب		ذي خشب			
الحجر	المدينة		المدينة			
وادي القرى						
السقيا						

1 – ينظر: محمود، نزار عزيز حبيب. خدمات الحجيج في العصر العباسي 334–132 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة البصرة، 1990، ملحق رقم (1) .

ملحق رقم «2» طريق المدينة– مكة [1]

الحربي (ت 285هـ)	ابن رسته (ت 290هـ)	اليعقوبي (ت 292هـ)	ابن خرداذبة (ت 300هـ)	قدامة بن جعفر (ت 337هـ)	المقدسي البشاري (ت 380هـ)	الإدريسي (ت 560هـ)
ذي الحليفة– الشجرة (5.5 ميل)	الشجرة (6 ميل)	ذي الحليفة (4ميل)	الشجرة (6ميل)	الشجرة (6 ميل)	يثرب	الشجرة (6 ميل)
الحفير (6 ميل)	السيالة (31 ميل)	الحفيرة	ملل (12 ميل)	ملل (12 ميل)	الرويثة مرحلة	ملل (12 ميل)
ملل (6ميل)	الرويثة (34 ميل)	ملل	السيالة (19 ميل)	السيالة (19 ميل)	الروحاء مرحلة	السيالة (17 ميل)
السيالة (7 ميل)	العرج (14 ميل)	السيالة	الرويثة (34 ميل)	الرويثة (34 ميل)	العرج مرحلة	الرويثة (34 ميل)
الروحاء (11 ميل)	السقيا (36 ميل)	الروحاء	السقيا (36 ميل)	السقيا (36 ميل)	سقيا بني غفار مرحلة	السقيا (36 ميل)
الرويثة (13 ميل)	الابواء (19 ميل)	الرويثة	الأبواء (29 ميل)	الأبواء (29 ميل)	الأبواء مرحلة	الأبواء (27 ميل)
العرج (14 ميل)	الجحفة (27 ميل)	العرج	الجحفة (27 ميل)	الجحفة (27 ميل)	الجحفة مرحلة	الجحفة (27 ميل)
السقيا (17 ميل)	قديد (29 ميل)	سقيا بني غفار	قديد (27 ميل)	قديد (26 ميل)	الخيم مرحلة	قديد (26 ميل)
الأبواء (17 ميل)	عسفان (24 ميل)	الأبواء	عسفان (24 ميل)	عسفان (24 ميل)	خليص وامج مرحلة	عسفان (24 ميل)
الجحفة (23 ميل)	بطن مر (34 ميل)	الجحفة	بطن مر (33 ميل)	بطن مر (16 ميل)	عسفان مرحلة	بطن مر (33 ميل)
قديد (24 ميل)	مكة (16 ميل)	قديد	مكة (16 ميل)	مكة (16 ميل)	بطن مر مرحلة	مكة (16 ميل)
عسفان (23 ميل)		عسفان			مكة مرحلة	
بطن مر (23 ميل)		مر الظهران				
مكة (13 ميل)		مكة				

1– ينظر: المرجع نفسه ، ملحق رقم (2) .